الصماد..النموذج

بقلم/ أ. ضيف الله الشامي

تتزاحم الكلمات وتقفز العبرات قبل العبارات كلما حاولت أن أكتب عن رجل عاش حياتـه لغـيره أكثر مما عاشها لنفسه، رجل عرف الله فعرفه وعمل لآخرته أكثر من دنياه بل كانت الدنيا لديه عبارة عن محطة ينطلق منها نحو الآخرة، شخصية لم تكن بالسلسة التي يمكن أن تقـاد دون علم ومعرفة وتثبت، ولا بالشديد المتصلب الذي يسـتبد برأيـه ويـرى لنفسـه مكانـة وفضـلاً؛ فجمع بين العلم والحلم والشدة واللين حتى فاق أقرانه وبرز كنموذج يحتذى به في كل المجـالات وعلى مختلف الأصعدة.

ذاك هو الرئيس الشهيد/ صالح علي الصماد ولد في بيئة متواضعة تعمل بكل جـد واجتـهاد لأن تعيش بكل عزة وكرامة قادرة على القيام بواجباتها ومسؤولياتها كما هو الحال مع معظم الأسر اليمنية المجاهدة.

برز نجم الرئيس الشهيد في حبه للعلـم والحـرص علـى قطـع الأشـواط الكـبيرة في مختلـف المجالات؛ فكان الأبرز في مدرسته والأوفر حظاً بينهم نتيجة اهتماماته الكـبيرة وحرصـه علـى تعدد مصادر العلم والمعرفة لديه؛ فكان من رواد المساجد وحلقات العلم لدى العلماء في محافظة صعدة مما أهله للعلم والمعرفة بشكل كبير، فكان تواقاً إلى العلم باحثاً عن العـزة والكرامـة ومـا يحقق الأمن للناس والسعادة في الدنيا والآخرة.

وما إن بدأ السيد الشهيد القائد/ حسين بدر الدين الحوثي مشروعه القرآني حتى وجـد الـرئيس الشهيد ضالته وانطلق إلى جبال مران متجشماً مع مجموعة من رفاقه من مديرية سحار عنـاء السفر وصعوبة الوصول إلى مران كل أسبوع لسماع محاضرات السـيد حسـين، ففـي كـل مـرة يزداد ثقة وقرباً وشوقاً لسماع هدى الله، ونتيجة للتراكم المعرفي لديه فقد كان يعد الكـثير مـن الأسئلة ليسأل السيد عنها وكان يجد الإجابة في المحاضرة قبل أن يقدم الأسئلة وقد حكـى ذلـك لنا وللكثير ممن عرفوه، فوصل إلى قناعة كاملة أن هدى الله يقدم بشـكل منـهج وعلـم ليـنير

الطريق لكل من يسعى للتحرك والعمل مع الله وفي سبيله وكان يحاجج العلماء والمتعلمين بالقرآن الكريم ويدعوهم لسماع المحاضرات وقراءة الملازم وإن كان لهم ملاحظات فليقدموها، وكان يحرص كثيراً على إيصال هدى الله للناس جميعاً فيتنقل في المجالس مرشداً ومتحدثاً لا يشق له غبار وفي المساجد خطيباً لا معاً لا يمل سماعه.

بدأت معرفتي العملية والقريبة منه بعد الحرب الثانية خصوصاً بعد انتقالنا إلى منطقة بني معاذ، وكان المجاهدون يعدون بالأصابع وكان الرئيس الشهيد يمثل سنداً قوياً وعوناً لكل المهاجرين الذين قدموا من مناطق خولان عامر والتي كانت محتلة حينها من قبل الجيش ويتعرضون للسجون والمضايقات وتقاسم حتى الأموال، فمثل الشهيد قبلة لكل المستضعفين وأماناً لكل المهاجرين حيث كان يحمل من الصفات القوية والمكانة العلمية والاجتماعية ما يجعل المجتمع ولو كانوا غير مقتنعين بفكرته وعمله يتفادون الصدام معه لمعرفتهم بقوة حجته وثقته الكبيرة بما يؤمن به ويعتقده.

عرف بالإحسان والفضل وتقديم العون لكل المحتاجين وكنا نعمل سوياً في مجال توفير ما استطعنا من أموال للإنفاق على الأسر الفقيرة والمهاجرة وقد عملنا معه في مجال البيع والشراء في القات لنتمكن من توفير ما استطعنا ولا زلت أتذكر أننا وصلنا لمرحلة تم محاصرتنا حتى من الشراء للقات من أصحاب المزارع فكنت انا والأخ الشهيد/ عبد اللطيف جران والشهيد/ عبد الفتاح البجوة نعتمد على الرئيس الشهيد في شراء المزارع بوجاهته وقبوله لدى الناس لنتمكن من مواصلة العمل، وكانت البركة تحلّ بشكل كبير في جني الأرباح بحيث كانت العائدات تذهب للأسر الفقيرة وما توفر منها نشتري بها سلاح وذخيرة في مجال الإعداد في سبيل الله؛ فاستطعنا بفضل الله توفير وتسليح عدد من المجاهدين وتوفير الذخيرة لمواجهة الحروب التي مورست ضد أبناء صعدة من قبل السلطات الظالمة آنذاك.

شِعب بني معاذ..

تفجرت الحرب الثالثة والتي بدأت شرارتها من الاعتداء على المساجين بالرصاص والقنابل والغازات السامة داخل السجن العام (قحزة) واستشهد على أثرها عدد من السجناء وجرح آخرون، وتوسعت حتى وصلت إلى الاعتداء على المتسوقين في سوق الخفجي بمنطقة بني معاذ وخروج الحملات العسكرية والدبابات لملاحقة الناس وتدمير منازلهم فعقدنا العزم مستعينين

بالله على المواجهة فكانت منطقة "صبر" و"فلّه" محطة من المحطات للمواجهة، وكان الرئيس الشهيد من يقود تلك الجبهة والتي التحمت فيما بعد بجبهة بني معاذ والتي كنا نتواجد فيها بعدد لا يتجاوز خمسة عشر فرداً في البداية لتلتحم الجبهتان في جبهة واحدة اتخذ شِعب بني معاذ منطلقاً لها وكان الرئيس الشهيد مع الأخ الشهيد/ عبدالرحمن جران يمثلان ثنائياً قيادياً رائعاً؛ استطاعا ترتيب الجبهة من واقع الضعف وانعدام الإمكانيات وبروحية عالية، فكانت بداية التأسيس في الشعب مجرد صخرتين كبيرتين سويت الأرض بينهما لتعد مطبخاً لتوفير الأكل والشرب ومخزناً للأدوات ومكاناً لاستراحة المجاهدين والقيادة، ومن أبرز ما كان يتميز به هؤلاء القادة أنهم على مستوى واحد مع الأفراد فأتذكر أن الرئيس الشهيد والأخ الشهيد/ عبد الرحمن جران كانا من أول المبادرين معي في الإعداد وتجهيز الطعام للمجاهدين، ولم ولن أنسى تلك الروحية والأجواء الإيمانية والأخوية التي كنا نعمل فيها داخل المطبخ ونحرص على توفير ما استطعنا للمجاهدين، حتى أننا حصلنا على سيارة هايلوكس غمارة موديل ٨٢ كغنيمة حرب فقرر الجميع أن تكون لجلب المياه من الآبار ليتوفر بسرعة للمجاهدين، وكان القادة يتحركون مشياً على الأقدام أو بسياراتهم الخاصة التي كانت تستخدم في الجبهات ولم تكن تعود إلا بعض الأيام، وكانوا يقودون المعارك بأنفسهم ويتحركون للبحث عن مساندة ودعم من مختلف المناطق في مديرية سحار ويتحملون الديون الباهظة لتوفير الإمكانيات.

ومن المواقف التي لا تنسى اهتمامه الكبير بالجرحى؛ ففي يوم من الأيام قال لي "الجرحى يشتي لهم كبش"! فبحثنا فلم نجد، فقال لي تعال معي وركبنا السيارة وذهبنا إلى منزل والده بالرغم من خطورة المكان حيث كان الجيش يتمركز في التبة التي تعلو منزلهم وقدم لوالده ووالدته وزوجة أبيه الثانية الموعظة ولم يخرج منهم إلا بكبش وقال لي "قضى الله الحاجة" وبدأ يضحك مع والده قائلاً له "الكبش يشتي بعده "تخزينة" جيدة والجرحى نشتيهم يكيفوا يابه" فرد عليه والده بكل أريحية ورحابة صدر قائلاً له: "قد عينك على المشعاب القات.. هيا اقطفوه ولا تلهجوا".

تلك الروحية التي لم تتغير في الرئيس الشهيد منذ عرفته وإلى أن لقي الله شهيداً مجاهداً صابراً محتسباً لم تغيره المناصب ولم تغره شهوة السلطة، وقد كان قادراً على ذلك؛ ففي يوم من الأيام ونحن نتجول في بدروم جامع الشعب وبعد أن أكملنا أمسكت بيده وقلت: "يا أستاذ أين أوسع هذا البدروم أم الصندقة التي كنا نجلس فيها تحت الشجرة في شعب بني معاذ؟" فنظر

إلي وامتلأت عيناه بالدموع وأمسك بيدي بقوة وقال لي: "والله أن تلك الصندقة أفضل عندي من الدنيا وما فيها، وقال ضروري نجلس ليلة سوياً نتذكر تلك الأيام"، وتواصلنا في المساء وهو يؤكد على الموعد وأخبرني أنه سيكمل برنامجه خلال الأيام المقبلة ويستدعيني وكنا على موعد فاختاره الله شهيداً قبل ذلك.

هذا النموذج الذي جسد المنهجية القرآنية قولاً وعملاً ابتداءً من مجاهد بسيط إلى أعلى منصب قيادي في البلد، لم تتغير علاقته بالله وبالمنهجية والمجتمع ملتزماً واثقاً متعاملاً مع الجميع بصدره الرحب من موقع المسؤولية، حتى أنه كان يخاطبنا كأعضاء للمكتب السياسي لأنصار الله بأن تعامله معنا إن حصل خطأ أو قصور من قبلنا في مواقعنا الرسمية أننا سنكون معرضين للمساءلة والمحاسبة أكثر من غيرنا ولن يقبل بأن يستغل الفرد مكانه في تقديم النموذج السيء، ولنا اليوم أن نفاخر بمثله نموذجاً راقياً وقدوة لكل المسؤولين على مستوى العالم ككل وليس على مستوى اليمن فقط.

رحم الله شهيدنا رحمة الأبرار وألحقنا به صالحين.